

العلاقة بين اللفظ والمعنى عند اللغويين

✽ عبد الرحمان حتوت - كلية العلوم الإسلامية . جامعة باتنة 1

✽ زينب دوادي - كلية العلوم الإسلامية . جامعة باتنة 1

المخلص:

شغلت فكرة الصلة بين اللفظ والمعنى الباحثين في اللغة في القديم والحديث، فذهب بعض الفلاسفة اليونانيين والهنود القدماء إلى وجود صلة متينة بين اللفظ ومعناه، وذهب آخرون إلى أنها لا تعدو أن تكون صلة اصطلاحية عرفية، أما علماء العربية فكادوا يطبقون على ثبوت نوع من المناسبة بين اللفظ والمعنى على النحو الذي فصل فيه ابن جني في كتابه "الخصائص".

الكلمات المفتاحية: اللفظ، المعنى، طبيعة العلاقة، الدال

والمدلول

Abstract :

The relation ship between the word and it smeaning has long grapped the attention of scholars. Somegreek and indian scholars beleived that thereis a natural relation between the words and thiermeanings .Someohters believed that this relationship is onlycon ventional and arabitrary .Spesialists in

arabic, however, believed in the situational relation ship between them in the sense that has been shown by ibn djeni in his book entitled elkhassais.

Key words: Word, Meaning, Conventional relation ship, Natural relation ship, Signifier, Signified.

المقدمة:

الكلمة تتكون ولا بد من جانبين مهمين لا ينفك أحدهما عن الآخرهما اللفظ والمعنى.

وإن من القضايا التي أثارت جدلا بين اللغويين جدلية اللفظ والمعنى، هذه الثنائية التي كانت ولا تزال أبرز مبحث تنازعتها علوم مختلفة كاللغة والأدب، والمنطق والأصول وحتى علم النفس، وكان لكل علم نصيبه الوافر وزاويته الخاصة من بحث هذه القضية ومعالجتها.

وقد إتفت علماء اللغة مبكرا، وقبلهم الفلاسفة وأصحاب المنطق إلى مشكلة العلاقة بين اللفظ ومعناه، أو بين الدال ومدلوله، فراحوا يتساءلون عن طبيعة هذه العلاقة، هل هي علاقة ذاتية طبيعية كالتى بين الأسباب الكونية ومسبباتها؟ أم أنها لا تعدو أن تكون عرفية اعتباطية؟ وإذا لم تكن هذه ولا تلك فما هي أوجه المناسبة بين اللفظ ومعناه؟ وماهي الدلائل العلمية على ذلك؟.

وقد أجابوا عن هذه الأسئلة وبحثوها بالأدلة والبراهين، فكانت لهم آراء متباينة ونظريات مختلفة.

وفي هذه الدراسة يتمعرض هذه الآراء للنظر في أدلتها ومناقشتها والخلوص بعدها إلى نتيجة يؤسس في ضوءها هذا البحث العلمي وينفتح على قراءات بحثية تتقاطع معه.

المبحث الأول: مفهوم اللفظ والمعنى

قبل الخوض في الموضوع لا بد أن نقف وقفة ممهدة على مفهوم كل من اللفظ والمعنى، لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره.

والذي يهمننا هنا هو المعنى اللغوي للكلمتين لأننا ولجنا للبحث في هذه القضية من باب اللغة، فلا حاجة إداً لأن نسهب في ذكر الحدود والتعاريف، ونكتفي بالعودة إلى معاجم اللغة.

1. مفهوم اللفظ:

لو استعرضنا جميع معاجم اللغة لوجدناها تتفق في مفهوم عام للفظ، وهو انحصاره فيما يطرح ويلفظ من الفم.

ففي "تهذيب اللغة" يقول "الأزهري": "واللفظ لفظ الكلام، قال الليث: اللفظ أن ترمي بشيء كان في فيك"⁽¹⁾.

¹ أبو منصور الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1(2001م)، ج 14، ص 173 . 174.

وفي "المصباح المنير": "لَفَظَ رِيْقَهُ وَغَيْرَهُ لَفْظًا مِنْ بَابِ ضَرَبَ رَمَى بِهِ، وَلَفَظَ بِقَوْلٍ حَسَنِ تَكَلَّمَ بِهِ وَتَلَفَّظَ بِهِ كَذَلِكَ، وَاسْتَعْمِلَ الْمُصَدَّرُ اسْمًا وَجُمِعَ عَلَى أَلْفَاظٍ مِثْلُ فَرِحَ وَأَفْرَاخٍ"⁽²⁾.

وعرفه "ابن فارس" بتعريف أدق فقال: "اللام والفاء والطاء كلمة صحيحة تدل على طرح الشيء، وغالب ذلك أن يكون من الفم، تقول لفظ بالكلام يلفظ لفظا."⁽³⁾.

وفي "الكليات" بسط "الكفوي" تعريف اللفظ بدقة أكبر فقال: "هُوَ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى الرَّمِيِّ، وَهُوَ بِمَعْنَى الْمُفْعُولِ، فَبِتَنَاقُلِ مَا لَمْ يَكُنْ صَوْتًا وَحَرْفًا، وَمَا هُوَ حَرْفٌ وَاحِدٌ وَأَكْثَرٌ، مَهْمَلًا أَوْ مُسْتَعْمَلًا، صَادِرًا مِنَ الْقَمِّ أَوْ لَا، لَكِنَّ خَصَّ فِي عَرَفِ اللُّغَةِ بِمَا صَدَرَ مِنَ الْقَمِّ مِنَ الصَّوْتِ الْمُعْتَمَدِ عَلَى الْمَخْرَجِ حَرْفًا وَاحِدًا أَوْ أَكْثَرَ، مَهْمَلًا، أَوْ مُسْتَعْمَلًا، فَلَا يُقَالُ لَفْظَ اللَّهِ، بَلْ يُقَالُ كَلِمَةَ اللَّهِ، وَفِي اصْطِلَاحِ النُّحَاةِ مَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَصْدُرَ مِنَ الْقَمِّ مِنَ الْحَرْفِ، وَاحِدًا أَوْ أَكْثَرَ، أَوْ يَجْرِي عَلَيْهِ أَحْكَامُهُ كَالعَطْفِ وَالِإِبْدَالِ فَيَنْدَرِجُ فِيهِ حَيْثُ نَزِدَ كَلِمَاتُ اللَّهِ وَكَذَا الضَّمَائِرِ الَّتِي يَجِبُ اسْتِنَارُهَا، وَهَذَا الْمَعْنَى أَعْمَ عَنِ الْأَوَّلِ، وَأَحْسَنُ تَعَارِيفِهِ عَلَى مَا قِيلَ: صَوْتٌ مُعْتَمَدٌ عَلَى مَقْطَعٍ، حَقِيقَةٌ أَوْ حَكْمًا، فَأَلَّوْلُ كَزَيْدٍ، وَالثَّانِي كَالضَّمِيرِ الْمُسْتَتَرِّ فِي (قُمْ) الْمُقَدَّرِ بِأَنْتَ، وَاللَّفْظُ عَلَى مِصْطَلَحِ أَرْبَابِ

² الفيومي أحمد بن محمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية -

بيروت، ج2، ص555.

³ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط (1399هـ -

1979م)، ج5، ص259.

المعاني: عبارة عن صورة المعنى الأول الدال على المعنى الثاني على ما صرح به الشيخ حيث قال: إذا وضعوا اللفظ بما يدل على تفخيمه لم يُريدوا اللفظ المنطوق.⁽⁴⁾

يمكن أن نلاحظ أيضا من هذه التعاريف أن مصطلح اللفظ يتصل بمصطلحات أخرى لها علاقة به هي: القول والكلام، وأن أهم سمة للفظ هي أنه منطوق، وأن له صورة وشكلا.

2. مفهوم المعنى:

قال "ابن فارس": "وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ قِيَاسُ اللَّغَةِ أَنَّ الْمَعْنَى هُوَ الْقَصْدُ الَّذِي يَبْرُزُ وَيَطْهَرُ فِي الشَّيْءِ إِذَا بَحِثَ عَنْهُ. يُقَالُ: هَذَا مَعْنَى الْكَلَامِ وَمَعْنَى الشَّعْرِ، أَيِ الَّذِي يَبْرُزُ مِنْ مَكْنُونٍ مَا تَضَمَّنَهُ اللَّفْظُ."⁽⁵⁾

وإلى هذا المعنى أشار "الكفوي" وزاده ايضا فقال: "المعنى: هو إمّا (مفعول) كما هو الظاهر من (عنى يعنى) إذا قصد المقصد، وإمّا مخفف (معنى) بالتشديد اسم مفعول منه أى: المقصود وأيا ما كان لا يُطلق على الصور الذهنية من حيث هي بل من حيث إنها تقصد من اللفظ

والمعنى مطلقاً: هو ما يقصد بشيء، وأما ما يتعلّق به القصد باللفظ فهو معنى اللفظ ولا يطلقون المعنى على شيء إلا إذا كان مقصوداً، وأما إذا

⁴ أبو البقاء الكفوي، الكليات، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة -

بيروت، ج1، ص795.

⁵ المصدر نفسه، ج4، ص149.

فهم السَّيِّءِ عَلَى سَبِيلِ التَّبَعِيَّةِ فَهُوَ يُسَمَّى مَعْنَى بِالْعَرَضِ لَا بِالذَّاتِ
وَالْمَعْنَى: هُوَ الْمَفْهُومُ مِنْ ظَاهِرِ اللَّفْظِ."⁽⁶⁾

يتضح من خلال هذه التعاريف أن العلاقة بين اللفظ والمعنى هي علاقة تلازم، فلا وجود للفظ دون معنى، ولا وجود لمعنى دون لفظ، وبعبارة أوضح: "اللفظ هو المقابل المادي أو الحسي المنطوق لمصطلح المعنى، أي إن المعنى إذا وصف بأنه فكرة ذهنية مجردة، لا يمكن أن ترجع إلى المادة، فإن ما يقابل هذه الفكرة الذهنية المجردة هو ما نقصده باللفظ، وعلى هذا فاللفظ هو المنطوق الذي يتكلم به اللسان أيًا كان قدره وكمه، وهو شكل يقابل المعنى، وبناءً على ذلك أيضًا فاللفظ هو أداة الإشارة إلى هذه الفكرة الذهنية المجردة، وهو الحامل لها والمعبر عنها، أي إنه أداة أداء الدلالة أو المعنى."⁽⁷⁾

بعد أن حددنا المفاهيم فتحددت صورة كل من اللفظ والمعنى، واتضح العلاقة القائمة بينهما في اللغة، ننقل إلى بيان طبيعة هذه العلاقة، وعرض الآراء فيها، وذلك في المبحث الآتي:

المبحث الثاني: آراء العلماء في طبيعة العلاقة بين الألفاظ

ومعانيها

⁶ المصدر نفسه، ج1، ص842.

⁷ عبد السلام السيد حامد، الشكل والدلالة. دراسة نحوية للفظ والمعنى، دار غريب للطباعة.

القاهرة، ط(2002م)، ص17.

1. الفلاسفة وأصحاب المنطق:

نبدأ بعرض آراء الفلاسفة لأنهم هم أصحاب الملاحظة الأولى لهذه القضية، فقد أرجع "ابراهيم أنيس" تاريخ بدء البحث في هذه القضية إلى الهنود وفلاسفة اليونان⁽⁸⁾.

كما أن القضية يغلب عليها الطابع الفلسفي، فقد "درس اليونان القدماء لغتهم ولكن عملهم في اللغة كان متأثراً بالمنهج العقلي الذي كان سائداً بينهم، أي أنه كان عملاً تجريدياً فلسفياً يقوم على المنطق الأرسطي، ومن ثم كانت الموضوعات التي تجذب اهتماماتهم مدور حول البحث في نشأة اللغة والعلاقة بين اللغة والفكر والعلاقة بين الألفاظ والأشياء... كما توفر الهنود القدماء على درس لغتهم متمثلة في كتابهم المقدس"⁽⁹⁾.

لقد شغلت قضية اللفظ والمعنى بال كثير من فلاسفة اليونان، فقد تعرض أفلاطون لموضوع العلاقة بين اللفظ ومدلوله وذلك في محاوراته عن أستاذه سقراط، وكان اتجاه افلاطون نحو العلاقة الذاتية الطبيعية، حيث "ربط بين الألفاظ وبين مدلولاتها ربطاً وثيقاً، وجعلها سبباً طبيعياً للفهم والادراك، فلا تؤدي الدلالة إلا به، ولا تخطر الصورة في الذهن إلا حين النطق بلفظ معين"⁽¹⁰⁾.

⁸ ابراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5 (1984)، ص62.

⁹ عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية. بيروت، ص65.

¹⁰ ابراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص62.

ويبدو أن هذا الاتجاه ناجم - كما يرى ابراهيم أنيس - عن مجرد المغامرة الفكرية، فلم تكن لهم البراهين والأدلة الكافية لتعليل الغموض في كثير من ألفاظهم اليونانية ومدلولاتها، فراحوا يرجعون ذلك إلى تطور الألفاظ، وبعدها عن بدء نشأتها.⁽¹¹⁾

وفي المقابل نجد أرسطو يرفض فكرة أستاذه أفلاطون، فرأى أن الصلة بين اللفظ والدلالة لا تعدو أن تكون صلة اصطلاحية عرفية تواضع عليها الناس، "وقد أوضح آراءه وبين عرفية الصلة بين اللفظ ومعناه في مقالات تحت عنوان الشعر والخطابة."⁽¹²⁾

ولم يكن الهنود بأقل اهتماما بمختلف مباحث اللغة من اليونان، "فقد جذب هذا الموضوع . العلاقة بين اللفظ والمعنى . اهتمام الهنود ربما قبل أن يجذب اهتمام اليونانيين، وقد تعددت حوله الآراء، فمنهم من رفض فكرة التباين بين اللفظ والمعنى قائلا: إن كل شيء يتصور مقترنا بالوحدة الكلامية الدالة عليه، ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، وعلى هذا فنحن نعتبر الكلمة عنصرا من العناصر المكونة للشيء، تماما كما نعتبر الطين السبب المادي أو الرئيسي لكل المواد الترابية، ومنهم من صرح بأن العلاقة بين اللفظ ومعناه علاقة قديمة وفطرية أو طبيعية، ومنهم من قال بوجود علاقة ضرورية بين اللفظ والمعنى شبيهة بالعلاقة للزومية بين النار والدخان، ومنهم من رأى أن

¹¹ المرجع نفسه، ص 63.

¹² المرجع نفسه، ص 63، وأحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب . القاهرة، ص 18.

الصلة بين اللفظ والمعنى مجرد علاقة حادثة ولكنه طبقا لإرادة إلهية.⁽¹³⁾

2. علماء العربية القدماء:

كان البحث في دلالات الكلمات من أهم ما لفت اللغويين العرب مبكرا، "وقد كان من أسهامهم في هذا المجال وضع المعاجم الموضوعية ومعاجم الألفاظ."⁽¹⁴⁾، وفي ضمن ذلك برزت مسألة صلة الألفاظ بمعانيها، والمناسبة بينهما، فشغلوا واهتموا بها اهتماما بالغاً، ونزع كثير منهم إلى محاولة عقد صلة بين اللفظ ومعناه، ورأوا أن هناك مناسبة بين اللفظ ومعناه بوجه من الوجوه، بمعنى أن اللفظ يدل على معناه.

ويعتبر "عباد بن سليمان الصيمري المعتزلي" - حسب ابراهيم أنيس - أشهر من نادى بهذا الرأي، فقد ذهب إلى أن الألفاظ إزاء معانيها لم توضع اعتباطاً، وإنما لكل لفظ معناه الطبيعي الذي توجي به أصواته، وقد نقل هذا عنه السيوطي في الإتيان فقال: "نقل أهل أصول الفقه عن عباد بن سليمان الصيمري من المعتزلة أنه ذهب إلى أن بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أن يضع قال: وإلا لكان تخصيص الاسم المُعَيَّن بالمسَمَّى المُعَيَّن ترجيحاً من غير مُرَجِّح.

¹³ أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 19

¹⁴ عبد السلام السيد حامد، الشكل والدلالة - دراسة نحوية للفظ والمعنى، ص 11.

وكان بعض مَنْ يرى رأيَه يقول: إنه يعرفُ مناسبةَ الألفاظِ لمعانيها فسئِلَ ما مُسَمَّى (اذغاغ) وهو بالفارسية الحجر فقال: أجدُ فيه يُنسأً شديداً وأراه الحجر"⁽¹⁵⁾. ويشبهه هذا ما ذكره "ابن فارس" في "الصاحبي" تحت باب "الأسماء كيف تقع على مسمياتها"، قال: "ومن ذلك" القلم" لا يكون قلماً إلاَّ وَقَدْ بُرِيَ وأُصلِح، وإلاَّ فهو أنبوبة.

وسمعت أبي يقول: قيل لأعرابي "مَا القلم" فقال: "لا أدري" فقيل لَهُ "تَوَهَّمُهُ" فقال: "هو عود قُلِمَ من جانبيه كتقليم الأظفور فسئِي قلماً"⁽¹⁶⁾

ومن هذا المهبوع ما قام به أصحاب معاجم الألفاظ من دراسة اتصال معاني الألفاظ المتحددة الأصول ومحاولة ربط بعضها ببعض فيما عرف باسم الاشتقاق الأصغر والاشتقاق الأكبر.

وخير مثال على ذلك "معجم مقاييس اللغة" الذي حاول فيه "ابن فارس" (ت395هـ) تلمس الصلات بين الكلمات التي تشترك في الأصول ثم يدرجها تحت معنى عام كلي فاستطاع بهذه الطريقة الفذة أن يحصر جميع المعاني الجزئية التي ترجع إلى هذا المعنى العام.

¹⁵ جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1 (1418هـ-1998م)، ج1، ص40.

¹⁶ أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، الناشر: محمد علي بيضون، ط1 (1418هـ-1997م)، ص61.

ومن ذلك ما ذهب إليه ابن دريد (321هـ) في كتابه "الإشتقاق" حيث فسّر تسمية العرب أبناءهم تفسيرا يعتمد على هذه المناسبة بين الألفاظ ومعانيها فمنها ما سمّوه تفاؤلاً على أعدائهم نحو غالب، وغلاب، وظالم، وعارم، ومُنازل، ومقاتل.... ونحو ذلك، ومنها ما تفاءلوا به للأبناء نحو: نائل، ووائل، وناجٍ، ومُدرك، ودرّاك، وسالم، وسليم.... وما أشبه ذلك، ومنها ما سمي بالسَّبّاع ترهيباً لأعدائهم: نحو: أسد، وليث، وفرّاس، وعمّلس، وضرغام.... وما أشبه ذلك، ومنها ما سمي بما غلظ وخشّن من الشجر تفاؤلاً أيضاً نحو: طلحة، وسمرّة، وسلمة، وقتادة، وهراسة، كل ذلك شجر له شوكت، وعضاء.

ومنها ما سمي بما غلظ من الأرض وخشّن لمسه وموطئه، مثل حَجْرٍ وحُجَيْر، وصَخْرٍ وفِهْر⁽¹⁷⁾.

غير أن الذي يستوقفنا هنا هو ابن جني (592هـ) الذي نبه على صحة هذه العلاقة بقوله: "اعلم أن هذا موضع شريف لطيف، وقد نبه عليه الخليل وسيبويه، وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته...."⁽¹⁸⁾

وفي نص آخر يقول: "فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث، فباب عظيم واسع، ونهج متلئب عند عارفيه مأموم. وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها

¹⁷ أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، الإشتقاق، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت - لبنان، ط1 (1411 هـ - 1991 م)، ص5.

¹⁸ ابن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، ج2، ص154.

عنها، فيعدلونها بها ويحتذونها عليها، وذلك أكثر مما نقدره، وأضعاف ما نستشعره.⁽¹⁹⁾

وبذل ابن جني جهدا كبيرا في إيجاد العلاقة بين أصوات الكلمة وما ترمز إليه من معاني، ومثل لها بأمثلة كثيرة، نسوق بعضها منها⁽²⁰⁾:

- من ذلك قولهم: خضم وقضم، فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب، والقضم للصلب اليابس نحو: قضمت الدابة شعيرها ونحو ذلك...فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث.

- ومن ذلك قولهم: النضح للماء نحوه والنضح أقوى من النضح... فجعلوا الحاء -لرقتها- للماء الضعيف، والخاء -لغلظها- لما هو أقوى منه.

- ومن ذلك القد طولاً والقط عرضاً، وذلك أن الطاء أحصر للصوت وأسرع قطعاً له من الدال، فجعلوا الطاء المناجزة لقطع العرض؛ لقربه وسرعته، والدال المماثلة لما طال من الأثر وهو قطعه طولاً.

- ومن ذلك قولهم: الوسيلة والوصيلة، والصاد -كما ترى- أقوى صوتاً من السين لما فيها من الاستعلاء، والوصيلة أقوى معنى من الوسيلة. وذلك أن التوسل ليست له عصمة الوصل والصلة، بل الصلة أصلها من اتصال الشيء بالشيء ومماسته له، وكونه في أكثر الأحوال بعضها له؛

¹⁹ المصدر نفسه، ص 159.

²⁰ المصدر نفسه، ص 159، 160، 162.

كاتصال الأعضاء بالإنسان وهي أبعاضه ونحو ذلك، والتوسل معنى يضعف ويصغر أن يكون المتوسل جزءاً أو كالجزم من المتوسل إليه. وهذا واضح. فجعلوا الصاد لقوتها للمعنى الأقوى، والسين لضعفها للمعنى الأضعف.

افتنَّ ابن جني بهذا الموضوع وبسط القول فيه، وتوسع في الحديث عن مناسبة الألفاظ لمعانيها فذكرها في غير موضع من كتابه الخصائص، ثم بلور الفكرة في بابين من الكتاب هما: "باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني"، و"باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني".

وفي "المزهر" نقل السيوطي (ت 911هـ) كلام ابن جني، مبدياً موافقته، ثم مثل بأمثلة كثيرة من "الجمهرة" لابن دريد وغيرها، ثم علق على ذلك بقوله: فانظر إلى بديع مناسبة الألفاظ لمعانيها وكيف فاوتت العرب في هذه الألفاظ المُقترنة المتقاربة في المعاني فجعلت الحرف الأضعف فيها والألين والأخفى والأسهل والأهمس لِمَا هو أدنى وأقل وأخف عملاً أو صوتاً وجعلت الحرف الأقوى والأشد والأظهر والأجهر لِمَا هو أقوى عملاً وأعظم حساً ومن ذلك المد والمط فإنَّ فعل المط أقوى لأنه مدٌّ وزيادة جذب فناسب الطاء التي هي أعلى من الدال⁽²¹⁾.

ونجد ابن القيم في تفسيره للقرآن الكريم ينبه على هذه القاعدة وهي الحذو بالألفاظ العربية حذو معانيها، فيقف عند كلمة "الوسوسة" مبيناً المناسبة بين معناها وأصوات حروفها، يقول: "والظاهر - والله أعلم - أنها سميت وسوسة لقربها، وشدة مجاورتها لمحل

²¹ جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين السيوطي، ج 1، ص 44.

الوسوسة من شياطين الإنس وهو الأذن.... فلما كانت الوسوسة كلاما يكرره الموسوس، ويأكده عند من يلقيه إليه، كرروا لفظها، بإزاء تكرير معناها، فقالوا: وسوس وسوسة، فراعوا تكرير اللفظ ليفهم منه تكرير مسماه⁽²²⁾.

وقد استشرح الرافعي كلام ابن جني، ولخص - بدقة لا مزيد عليها - الأفكار التي تستفاد منه في النقاط التالية:

1- إثبات أن العرب تقارب حروف الألفاظ متى تقاربت معانيها، كقوله تعالى: "أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَضُّعُهُمْ أَزًّا"²³ أي: تزعجهم وتقلقهم، فهذا في معنى "تهزهم هذا" والهمزة أخت الهاء، فكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة؛ لأنها أقوى من الهاء، كما أن المعنى نفسه أعظم في النفوس من الهز؛ لأنك قد تهز ما لا حراك له، كالجذع ونحوه؛ أي: فيبقى الهز المقرون بالإزعاج خاصا بذى الحياة؛ لأنه متعلق بالشعور؛ وذلك ما أفادته الهمزة وحدها.

2- إن هذه المقاربة بين الحروف تقع فيها المراعاة حتى في الحروف البعيدة التي لا تتشابه إلا بالتأويل، كقوله إن تركيب "ع ل م" في العلامة والعلم، وقالوا مع ذلك: بيضة غرماء، وقطيع أغرم، إذا كان فيه سواد وبياض، وإذا وقع ذلك بأن أحد اللونين من صاحبه، وكان كل

²² ابن القيم، التفسير القيم لابن القيم، جمع: محمد أويس الندوي، تحقيق: محمد حامد

الفاقي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ص 600.

²³ سورة مريم، الآية 83.

واحد منهما "علما" للآخر، وهذا المعنى من "غ رم" ولكنه مقارب لتركيب "علم" كما ترى!

3- إن المقاربة قد تكون بالمضارعة في الأصل الواحد بالحرفين، كسحل وصهل "في معاني الصوت" فالصا د أخت السين، والهاء أخت الحاء، وسحل وزحر "في الصوت أيضا" فالسين أخت الزاي، واللازم أخت الراء.

4- إن من المضارعة نوعا أحكم من هذا، وهو المضارعة بالأصول الثلاثية في الفعل "الفاء والعين واللام" نحو: عصر الشيء وأزله، إذا حبسه، قال: والعصر ضرب من الحبس، والعين أخت الهمزة والصاد أخت الزاي والراء أخت اللام، وقد أتى بأمثلة من ذلك ثم قال: وهذا موجود في أكثر الكلام، وإنما بقي من يثيره ويبحث عن مكنونه، بل من إذا وضح له وكشفت عنده حقيقته، أطاع طبعه له فوعاه، وهيمات ذلك مطلبا، وعز فيهم مذهبا.

5- إثبات أن العرب يصورون اللفظ على هيئة المعنى، وهذا مذهب قد نبه عليه الخليل وسيبويه، قال الخليل: كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة، فقالوا: "في العبارة عنه" صر، وتهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا: صرصر، وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على إعلان "بثلاث حركات" إنها تأتي للاضطراب والحركة، نحو: الغليان، فقابلوا بتوالي الحركات في المثال توالي الحركات في الأفعال.

قال ابن جني: ووجدت أنا من هذا الحديث أشياء على سمت ما حداه ومنهاج ما مثلاه؛ منها أن المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرار والزعزعة: كالقلقلة والصلصلة إلخ؛ ، ومن هذا الباب ما ذكره ابن

فارس أنه سمع من يثق به يقول إن العرب تشوه صورة اللفظ وتقبحها لمقابلة مثل ذلك في المعنى، كقولهم للبعيد ما بين الطرفين المفرط الطول: طرماح، وإنما أصله من الطرح، وهو البعيد، لكنه لما أفرط طوله سمي طرماح؛ ومثل ذلك كثير في أبواب الصفات.

6- ومن نظام الألفاظ بالمعاني أنهم يقابلوا الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث، فيجعلون كثيرا أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر عنها كقولهم: خضم، وقضم، فالخضم لأكل الشيء الرطب، والقضم لأكل الشيء الصلب اليابس، فاختراروا الخاء من أجل رخاوتها للرطب، والقاف من أجل صلابتها لليابس، فحذوا بمسموع الأصوات على حذو مسموع الأحداث. وقد أتى ابن جني بعدة منها، ونقل السيوطي في أوائل "المزهر" عن غيره أشياء أخرى وكلها تدل على أنهم يضبطون الألفاظ المقترنة المتقاربة بالمعاني، فيجعلون الحرف الأضعف فيها، والألين والأخفى والأسهل والأهمس، لما هو أدنى وأقل وأخف عملا أو صوتا، ويجعلون الحرف الأقوى والأشد والأظهر والأجهر، لما هو أقوى عملا وأعظم حسنا؛ ومن أجمع الأمثلة لذلك ما أورده الثعالبي في "فقه اللغة"، قال: "إذا أخرج المكروب أو المريض صوتا رقيقا فهو الرنين، فإن أخفاه فهو الهنين، فإن أظهره فخرج خافيا فهو الحنين، فإن زاد فهو الأنين، فإن زاد في رفعه فهو الحنين"⁽²⁴⁾.

²⁴ أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، ط1: 1422 هـ - 2002، ص149.

7- إنهم قد يضيفون إلى اختيار الحرف تشبيه أصواتها بالأحداث المعبر عنها، وتقديم ما يضاهاى أول الحدث "المعنى" وتأخير ما يضاهاى آخره؛ سوقا للحرف على سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب، كقولهم: شد الحبل؛ فالشين لما فيها من التفشي تشبه بصوت أول انجذاب الحبل قبل استحكام العقد، ثم يليها إحكام الشد وال جذب، فيعبر بالبدال التي هي أقوى من الشين لاسيما وهي مدغمة فهي أقوى لصيغتها وأدل على المعنى الذي أريد بها.

ومما يلتحق بهذا الباب الذي هو نظام الألفاظ بالمعاني، ما وضعوه من حكاية الأصوات، وذلك أنهم يشتقون اللفظ من نفس الصوت القائم بمعناه على جهة الحكاية وتصوير الأشياء بأصواتها، وهذا النوع يعده أدباء الغربيين من مبدعات القرائح، ومما يحضرنا منه للعرب قولهم في حكاية صوت مصراعي الباب الكبير إذا أغلق: جئلبق، كالعطعطة للأصوات المتتابعة في الحرب، والقهقهة للاستغراب في الضحك، وأمثال لذلك كثيرة⁽²⁵⁾.

3. علماء العربية المحدثون:

لم يرتض كثير من علماء العربية المعاصرين القول بالمناسبة بين الألفاظ ومعانيها، وعلى رأسهم ابراهيم أنيس، حيث أرجع ما ذهب إليه ابن جني ومن تابعه بالقول بالمناسبة، إلى مجرد الإعجاب بالعربية والإعتزاز بها، وإضفاء هالة من القداسة عليها، حيث يقول: " ومع أن معظم اللغويين من العرب لا يأخذون بهذا الرأي نرى كثيرا منهم يربطون

²⁵ مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، ج1، ص149.

في مؤلفاتهم بين الألفاظ ومدلولاتها ربطا وثيقا يكاد يشبه الصلة الطبيعية أو الذاتية، ولعل السر في هذا الاتجاه هو اعتزازهم بتلك الألفاظ العربية وإعجابهم بها، وحرصهم على الكشف عن أسرارها وخبائها⁽²⁶⁾.

و القول بالمناسبة بين الألفاظ ومعانيها فكرة فلسفية ورثها علماء العربية عن فلاسفة اليونان⁽²⁷⁾.

ويرى ابراهيم أنيس بإزاء هذا أن الألفاظ مجرد رموز على الأشياء، والصورة الذهنية هي التي تحدد المعاني عند الأشخاص، وهذه الصورة الذهنية تكتسب من البيئة والمجتمع والتجارب المختلفة ثم تنمو وتتطور بعد ذلك، يقول في هذا الصدد: "الألفاظ لا تعدو في حقيقتها أن تكون بمثابة الرموز على الدلالات كل لفظ يصلح أن يتخذ للتعبير عن أي معنى من المعاني، فما يسمى "بالشجرة" يمكن أن يسمى بأي لفظ، متى اصطاح الناس وتواضعوا على استعماله، فليس في لفظ الشجرة ما يوحي بفروعها وجدورها، وأوراقها وخضرتها"⁽²⁸⁾، وفي هذا الصدد نجده أيضا ينقل كثيرا عن "جسبرسن" ويوافقه على ما

²⁶ ابراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 64.

²⁷ المرجع نفسه، ص 64.

²⁸ المرجع نفسه، ص 83.

يذهب إليه من أن الدلالة تكتسب بمرور الزمن من خلال الأحداث النفسية والاجتماعية والتجارب المختلفة.⁽²⁹⁾

وفي جانب آخر لا ينكر إبراهيم أنيس استيحاء دلالة اللفظ من أصوات الكلمة.⁽³⁰⁾

ونذكر من العلماء الرافضين لفكرة المناسبة بين الألفاظ ومعانيها: رمضان عبد التواب، حيث يقول في "بحوثه". بعد أن تكلم عن قضية الزيادة في المبنى وعلاقتها بالزيادة في المعنى. ما نصه: "وإذا صدق هذا على بعض الأمثلة في اللغة، فإنه لا يصح أن يغيب عن بالنا أنه ليس ثمة بين الاصطلاح اللغوي، والشئ الذي وضع له هذا الاصطلاح أية علاقة، وإنما هي علاقة تقاليد كما يقول "أنطوان ميه"، وهذا معناه عدم الارتباط الطبيعي بين الاسم ومسماه".⁽³¹⁾

ونجد أيضا مع هؤلاء "عبد الراجحي" حيث زعم أن العلماء مطبقون على أن العلاقة بين الألفاظ ومعانيها هي علاقة اعتبارية لاغير⁽³²⁾، ويقصد بالعلماء علماء الغرب، على رأسهم مؤسس علم

²⁹ المرجع نفسه، ص 69. 70.

³⁰ المرجع نفسه، ص 78.

³¹ رمضان عبد التواب، بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، دار ارفاعي بالرياض،

ط1 (1403 . 1982)، ص 22.

³² الراجحي، فقه اللغة، الراجحي، ص 69.

اللسانيات الحديثة "ديوسير" الذي ققرر هذه الاعتباطية⁽³³⁾ وتبعه أغلب العلماء من الغرب والشرق على ذلك.

وفي مقابل هؤلاء يذهب بعض علماء العربية المعاصرين مذهب الأوائل في القول بالمناسبة بين الدال والمدلول، يقول صبحي الصالح: "أما الذي نريد الآن بيانه فهو ما لاحظته علماؤنا من مناسبة حروف العربية لمعانيها، وما لمحوه في الحرف العربي من القيمة التعبيرية الموحية؛ إذ لم يعنهم من كلِّ حرفٍ أنه صوت، وإنما عناهم من صوت هذا الحرف أنه معبر عن غرض، وأن الكلمة العربية مركبة من هذه المادة الصوتية التي يمكن حلَّ أجزاءها إلى مجموعة من الأحرف الدوالّ المعبرة، كل حرف منها يستقلّ ببيان معنًى خاصٍّ ما دام يستقل بإحداث صوت معين، وكل حرف له ظل وإشعاع؛ إذ كان لكل حرفٍ صدًى وإيقاع!"⁽³⁴⁾ ففي هذا النص يُبدي صبحي الصالح موافقته للأوائل في القول بمناسبة الألفاظ لمعانيها، ويرجع هذه المناسبة إلى أصوات الحروف وما تحدثه من صدًى وإيقاع خاص.

³³: دي سوسير، فصول في علم اللغة العام، ترجمة: أحمد نعيم، دار المعرفة، ص121.

³⁴ صبحي إبراهيم الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، ط1 (1379 هـ - 1960 م)، ص142.

ويرى عبد الله العلايلي أنه يمكن تعيين دلالات الحروف وفهم معانيها من خلال أصواتها، ومن ثم نفهم العربية فهما لا شية عليه ولا شية فيه⁽³⁵⁾.

خاتمة:

بعد أن عرضنا أقوال العلماء في العلاقة بين اللفظ والمعنى وذكرنا أدلة كل فريق، يمكن أن نخلص إلى ما يلي:

1 - إن الطرح الفلسفي لهذه القضية والذي نحاه كثير من المعاصرين تبعا للغرب وفلاسفة اليونان لا يجدي نفعاً ولا يمكن معه أن نخلص إلى نتيجة نطمئن إليها، فهذه القضية برمتها لها صلة وثيقة بنظرية نشأة اللغات، والتي كان الجدل فيها عقيماً انتهى بكثير من العلماء إلى تركه والإعراض عنه.

2 إذا استبعدنا هذا الطرح وأردنا تلمس العلاقة بين الألفاظ ومعانيها في لغتنا بعيداً عن هذا التعقيد فلا بد لنا أن نشمر عن ساعد الجد للبحث في تراثنا العربي ليتبين لنا بطلان القول بالاعتباطية من عدة وجوه:

. تمتاز اللغة العربية بالدقة والإحكام، فقد كان العرب يحكمون المعاني في دلالات المباني، وهذا باب واسع يمكن أن نمثل له بما يلي:

³⁵ عبد الله العلايلي، مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد، المطبعة العصرية . مصر، ص129.

"النظر: تقيب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد به التأمل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص، وهو الروية، يقال: نظرت فلم تنظر. أي: لم تتأمل ولم تترو...ويقال: نظرت إلى كذا: إذا مددت طرفك إليه رأيته أو لم تره، ونظرت فيه: إذا رأيته وتدبرته"⁽³⁶⁾

. الاختصار والايجاز صفة بارزة في اللغة العربية فقد كانت العرب تعرب عن مرادها بأقل المفردات، وجعلت لكثير من من المعاني التي يقتضيها اللفظ في التراكيب المتنوعة مباني مناسبة كيما تختصر. قاعدة زيادة المبني تدل على زيادة المعنى فيه دلالة على المناسبة، مثل صيغ المبالغة.

3. تبين لنا من خلال ماسبق وعي النقاد العرب بمشكلة اللفظ والمعنى، فقد كانت لهم مشاركة قوية عرضوا فيها رأيهم الذي كادوا يطبقون علموهوأن هناك صلة ومقاربة بين الألفاظ ومعانيها وقد بلور ابن جني هذه الصلة في الأشكال الآتية:

. تلاقي المعاني على اختلاف الألفاظ والمباني: فمثلا يربط ابن جني بين كلمتي المسك والسوار، فيقول إن كلا منهما يجذب حاسة من

³⁶الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دارالعلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط1(1412 هـ)، ص812.

يشمه، أي أن المسك في رأيه إنما سمي كذلك لأنه يمك حاسة الشم ويجتديها⁽³⁷⁾.

- الاشتقاق الأكبر: الكلمة مهما قلبتها تشمل على معنى عام مشترك، ويضرب لنا مثلا بمادة "ك ل م"، فيقول: "ومنها التقديم والتأخير على ما قلنا في الباب الذي قبل هذا في قلب الأصول نحو: "ك ل م " و"ك م ل " و"م ك ل " ونحو ذلك. وهذا كله والحروف واحدة غير متجاوزة"⁽³⁸⁾.

- تصاقب (تقارب) الألفاظ لتصاقب المعاني: يذهب إلى أن مجرد الاشتراك في بعض الحروف يكفي أحيانا للاشتراك في الدلالة، فالهز والأز متقاربان في المعنى، وهما أيضا متقاربان في اللفظ⁽³⁹⁾.

- إمساس الألفاظ أشباه المعاني: أي وضع الألفاظ على صورة مناسبة لمعناها، فتجد المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير، نحو الزعزعة والقلقلة⁽⁴⁰⁾.

قائمة المصادر والمراجع:

1 - ابراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5(1984)

³⁷ ابن جني، الخصائص، ج2، ص119، 120.

³⁸ المصدر نفسه، ج2، ص148.

³⁹ المصدر نفسه، ج2، ص148.

⁴⁰ المصدر نفسه، ج2، ص154، 155.

- 2 - ابن دريد أبوبكر محمد بن الحسن، الاشتقاق، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت - لبنان، ط1 (1411 هـ - 1991 م).
- 3 - ابن القيم محمد بن أبي بكر، التفسير القيم لابن القيم، جمع: محمد أويس الندوي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- 4 - أبو البقاء الكفوي، الكليات، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، ط: مؤسسة الرسالة - بيروت.
- 5 - أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4.
- 6 - أبو منصور الأزهرى، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1 (2001م).
- 7 - أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، ط1 (1422 هـ - 2002).
- 8 - أحمد بن فارس، الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، الناشر: محمد علي بيضون، ط1 (1418 هـ - 1997 م).
- 9 - أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط (1399 هـ - 1979 م).

- 10 - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب . القاهرة.
- 11 - جلال الدين السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1(1418هـ 1998م).
- 12 - دي سوسير، فصول في علم اللغة العام، ترجمة: أحمد نعيم الكراعين، دار المعرفة - الاسكندرية.
- 13 - الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط1(1412 هـ).
- 14 - رمضان عبد التواب، بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، دار ارفاعي بالرياض، ط1(1403 . 1982).
- 15 - صبحي إبراهيم الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، ط1(1379هـ - 1960م).
- 16 - عبد السلام السيد حامد، الشكل والدلالة . دراسة نحوية للفظ والمعنى، دار غريب للطباعة . القاهرة 2002.
- 17 - عبد الله العلايلي، مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد، المطبعة العصرية . مصر.
- 18 - عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت.

19 الفيومي أحمد بن محمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير،
المكتبة العلمية - بيروت.

20 مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دارالكتاب العربي.